السنة الثالثة والتسعون وثلاث مئة

فيها منع عميد الجيوش أهل الكَرْخ من النَّوح يوم عاشوراء، ومنع أهل باب البصرة من المضيِّ إلى قبر مصعب بن الزبير، فسكنت الفتن، وحُقنت الدماء، وحُفِظتِ الأموال.

وفيها توفِّي الطائع [ابن المطيع]

وفيها قَبَضَ بهاءُ الدولة على وزيره أبي غالب محمد بن خلف، وصادره على مئة ألف دينار[١].

وفيها زلزلت الشام والعواصم [والثُّغور]، فمات تحت الهدم خلقٌ كثير، ووقعت القلاع والحصون.

وفيها أمر الحاكم صاحب مصر بقطع جميع الكروم التي بديار مصر والصعيد والإسكندرية ودِمْياط، فلم يُبقِ بها كرماً؛ احترازاً من عصير الخمر.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق؛ خوفاً من الأُصيفر الأعرابي.

وفيها توفِّي

إبراهيم بن أحمد بن محمد[٢]

أبو إسحاق، الطبري، المقرئ، شيخ الشهود، ومُقدَّمُهم ببغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة وغيرها، قرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير، وكان فقيهاً على مذهب مالك رحمة الله عليه، وحجَّ فأمَّ بالناس في المسجد الحرام أيام الموسم، وما تقدَّم فيه مَنْ ليس بقرشيٍّ سواه، ومولده سنة أربع وعشرين وثلاث مئة، وسكن بغداد، وحدَّث بها، وكان سخياً جواداً، مفضالاً على أهل القرآن والعلم، وداره مجمعاً لهم، وقرأ عليه الرضيُّ الموسويُّ القرآنَ، فقال له يوماً: أيها الشريف، أين مقامُكَ؟ فقال: في دار أبي بباب مُخَوِّل. فقال: مِثْلُكَ لا يُقيمُ بدار أبيه. ونَحلَه دارَه التي ببركة زلزل، فامتنع

(١) تنظر هذه الأخبار في المنتظم ١٥/ ٣٧و٣٩.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ١٩ ـ ٢٠، والمنتظم ١٥/ ٣٨ ـ ٣٩.

الرضيُّ، وقال: إنِّي لم أقبَلْ من أحدٍ شيئاً إلا من أبي. قال: حقِّي عليكَ أكثرُ من حقِّ أبيك، لأني حفَّظتُكَ كتابَ الله. قال: صدقتَ. وقَبِلها.

قدم الطبريُّ من البصرة إلى بغداد في سنة ثمان وسبعين، فصلَّى بجامع المنصور، في المكان الذي عادته أن يجلس فيه، فجاءه أبو الحسين بن سمعون مُهنِّئاً بقدومه، وأنشد: [من السريع]

الصبرُ إلَّا عنكَ محمودُ والعيشُ إلَّا بِكَ منكودُ
ويومَ تأتي سالماً غانماً يومٌ على الإخوان مسعودُ
مُذْ غِبْتَ غابَ الخيرُ من عندنا وإنْ تَعُدْ فالخيرُ مردودُ

ومات ببغداد، حدَّث عن إسماعيل بن محمد الصفَّار وغيرِه، وروى عنه أبو العلاء الواسطي وغيرُه، وأخرج له الدارقطني خمس مئة جزء، من سماعاته، وأجمعوا عليه.

عبد الكريم الطائع[1]

ابن المطيع بن المقتدر، أبو بكر، وأمُّه عُتب أم ولد، أدركت خلافتَه، ولي الخلافة سنة ثلاث وستين وثلاث مئة، وقَبَض عليه بهاءُ الدولة بن عضد الدولة سنة إحدى وثمانين، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام، وأفرد له القادر داراً، وأحسن إليه، فأقام إلى ليلة عيد الفطر، فتوفِّي.

قال هلال بن الصابئ: وفي يوم الثلاثاء، مُهَلَّ شوَّال أُظهِرَ موتُ الطائع المخلوع، وحضر من الغد الأشرافُ والقضاةُ والشهودُ والفقهاءُ والأماثلُ دارَ الخلافةِ للصلاة عليه والتعزية عنه، وأقاموا إلى المغرب، فصلَّى بهم القادرُ المغربَ، ثم أُخرِجَ التابوتُ إلى دار بدر في الفردوس، فصلَّى القادر عليه وكبَّر خمساً، وحُمِلَ إلى التربة التي بناها بالرُّصافة، فدُفِنَ بها، وشيَّع جنازتَه أبو الحسن ابن حاجب النعمان والحُجَّابُ والخدمُ والحاضرون من الجَمْع، وتكلَّم أهل السُّنَّة في تكبير القادر خمساً، فقيل لهم: إن ذلك

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٧٩ ـ ٨٠، والمنتظم ١٥/ ٣٩ ـ ٤٠، والكامل لابن الأثير ٩/ ١٧٥.

مما جرت به العادة في الصلاة على الخلفاء من بني هاشم، وبلغ ستًّا وسبعين سنة، ورثاه الشريف الرضي[١] من أبيات: [من الرمل]

ما رأى حيٌّ نزارٍ قبلَها ... جبلاً سارَ على أيدي الرِّجالِ
وإذا رامي المقاديرِ رمى ... فدروعُ المرءِ أعوانُ النِّصالِ
أيها القبرُ الذي أمسى بهِ ... عاطَلَ الأرضَ جميعاً وهو حَالي
لمْ يُواروا فيكَ ميتاً إنَّما ... أفرغوا فيكَ جبالاً من نوالِ
لا أرى الدمعَ كفاءً للجَوى ... ليس أنَّ الدَّمع من بعدِكَ غالي
وبِرُغمي أنْ كسوناكَ الثَّرى ... وفرشناكَ زَرَابيَّ الرِّمالِ
وهجرناكَ على رُغْمِ الورى[٢] ... رُبَّ هجرانٍ على غيرِ تقالِ
لا تقُلْ تلكَ قبورٌ إنَّما ... هي أصدافٌ على دُرِّ اللآلي

محمد بن عبيد الله[٣]

ابن محمد بن حُلَيس، أبو الحسن، السَّلامي، كان فصيحاً، وله شعرٌ حسنٌ، فمنه: [من المنسرح]

ظبيٌ إذا لاحَ في عشيرتِهِ ... يطرقُ بالهمِّ قَلْبَ مَنْ طَرَقَهْ
سهامُ ألحاظِهِ مفوَّقةٌ ... فكلُّ مَنْ رامَ وَصْلَهُ رَشَقَهْ
بدائعُ الحُسْنِ فيهِ مُفترِقَهْ ... وأنفُسُ العاشقينَ مُتَّفِقَهْ
قد كتبَ الحُسْنُ فوقَ عارِضِهِ ... هذا مليحٌ وحَقِّ مَنْ خَلَقَهْ

وله في الدِّرع يقول: [من الكامل]

يا رُبَّ سابغةٍ حَبَتْني نعمةً ... كافأتُها بالسوء غيرَ مفنِّدِ
أضحَتْ تصونُ عن المنايا مُهجتي ... وظَلَلْتُ أبذُلُها لكلِّ مهنَّدِ

وكانت وفاتُه ببغداد في جمادى الأولى.

---

(١) ديوان الشريف الرضي ٢/ ١٩٧ ـ ٢٠٠.

(٢) في الديوان: ضنٌّ الهوى.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٣٣٥، والمنتظم ١٥/ ٤١ ـ ٤٢، ويتيمة الدهر ٢/ ٤٦٦ ـ ٥٠٦، والكامل ٩/ ١٧٩، والأنساب ٧/ ٢٠٩.

محمد بن علي[١]

ابن الحسين [بن الحسن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن] بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن، العلوي، الهَمَذَاني، الصوفي، هو أحد الأشراف عِلماً ونسباً ومحبةً للفقراء مع ما يَرْجِعُ إليه من العلوم والحديث والفقه وغيره، وصحب جعفراً الخلدي وكان يكرمه، ودخل دويرة الرملة، ولم يتعرَّف إليهم، وأقام يخدمهم أياماً، فدخل إنسانٌ فعرفه، فقبَّلَ رأسَه وأخبرهم به، فقاموا وقبَّلوا قدميه، وقالوا: إن كنت قد أحسنتَ إلى نَفسك فقد أسأتَ إلينا. فخرج إلى مصر، ثم عاد إلى خراسان، فمات ببَلْخ، ومولده بهَمَذان، ونشأ ببغداد، ودرس الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، وصحب الصوفية، وصار كبيراً منهم، وحجَّ مراراً على قدم الوحدة، وجاور بمكة، وكتب الحديث، وسمع من أبي العباس الأصمِّ وغيرِه، وروى عنه أبو عبد الله الحاكمُ وغيرُه، وكان سيداً مأموناً ثقةً ورعاً زاهداً عابداً، ومن شعره: [من الطويل]

أشارَ إليه السِّرُّ حتَّى كأنَّهُ ... معَ السِّرِّ في قلبي ممازجُ أسراري
فيا عَجبي أنِّي مع السرِّ قائمٌ ... أتيه على نفسي بمكنون إضْماري

محمد بن علي[٢]

ابن الحسين بن أحمد بن إسماعيل [بن محمد بن إسماعيل] بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسين، العلوي، صاحب التصانيف، وكان منقطعاً في بيته بدمشق، ملازماً للعلم والعبادة والورع، ومات بدمشق، وكان له مشهدٌ عظيم لم يَرَ الناسُ مثلَه.

[وفيها توفِّيت]

ميمونة بنت ساقولة

الواعظة البغدادية.

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٦، وما بين حاصرتين الآتي منه ومن النسخة (ب).

(٢) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٠٧، وما بين حاصرتين الآتي منه، ومن النسخة (ب).

[حكى ابن ناصر عن أشياخه قال: إن ميمونة كانت تقول]: هذا قميصي، له اليوم سبع وأربعون سنة، ألبَسُه وما تخرَّق، غزلَتْه لي أمي، الثوبُ إذا لم يُعصَ الله تعالى فيه لا يتخرَّق سريعاً.

وقالت [ميمونة]: آذانا جارٌ لنا، فصلَّيت ركعتين، وقرأتُ من فاتحة كلِّ سورة آيةً حتى ختمتُ القرآن، وقلت: اللهمَّ اكفِنا أمره، ثم نِمْتُ وفتحتُ عينيَّ، وإذا به قد نزل وقت السَّحَر، فزلَّتْ قدمُه فوقع فمات.

وقال ابنها: كان في دارها حائطٌ له جوف، فقالت: هاتِ رُقعةً ودَواةً. فناولتُها، فكتبَتْ في الرُّقعة شيئاً، وقالت: دَعْه في ثقبٍ منه. ففعلتُ، فبقي نحواً من عشرين سنة، فلمَّا ماتت ذكرتُ ذلك القرطاس، فقمتُ فأخذتُه، فوقع الحائط، وإذا في الرُّقعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] يا مُمسك السماوات والأرض أمْسِكْه بقدرتك[1].

[وقد حكينا عن ابن سمعون مثل ذلك].

السنة الرابعة والتسعون وثلاث مئة

فيها دخل أبو العباس ابن واصل إلى البَطِيحَة فملكها، وانهزم مُهذِّب الدولة منها، وكان ابن واصل قد عصى على بهاء الدولة وأخذ البصرة، واستولى عليها، وكان مُهذِّب الدولة صديقَه وصاحبَه، وكان يُضمر له الغدر، ويقول: أنا نائبٌ بالبصرة عنك، حتى كاتب جماعةً من أهل البَطيحَة، وعمل السفن، وجمع العساكر، وسار يريد البَطيحَة، وكتب إلى مُهذِّب الدولة يقول له: مِنْ حُكم الفتوة والنُّصح أن تأخذ لنفسك. فأخرَجَ إليه جيشاً مع عبد الله ابن أخت مُهذِّب الدولة، فهزمهم، وعادوا إلى البَطيحَة مهزومين، ودعت الضرورة مهذِّبَ الدولة إلى أن ركب بقرة في بعض الطريق إلى واسط، فخرج إليه وجوهُ الناس وتلقَّوه وخدموه، وحملوا إليه الدوابَّ والثياب والآلات والفرش والألطاف، واستولى ابن واصل على أمواله وذخائره وعُدده ومَنْ

(١) الترجمة في المنتظم ١٥/ ٤٢.